مَدخل الفردوس المفقود

لملتون

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

———

يا ربة الشعر أنشدينا :
كيف كان من الانسان أول العصيان ؟
ما تلكم الشجرة الحرام وما جناها ؟
فقطفها الفانى أوردَ الأرضَ الفناء ،
وأضعنا به عَدْناً ، وعانينا ما نلاقى من عناء .
وهكذا نظل حتى يبعثنا نبى عظيم ، فيسترد لنا دار النعيم .
غردى ! يا من أوحيت إلى موسى ،
فى جنح الذرى من « حوريب » أو « طور سينين » ،
فألهمت ذيّاك الراعى ، الذى عَلّم الفيل المصطفى
كيف استقام فى الأزل العماءُ ، فجاءت منه الأرض والسماء .
فان استطبتِ سماوة « الصهيون » ،
حيث غدير « سلوى » تدفق واثباً حيال بيت الله ،
فاياكِ ثمت أستعين على نشيدى العصيب
الذى اعْتَزَمَ ألا يلوى فى تحوامه
حتى يحلق صاعداً فوق سامق « أونيا »
ينشد غاية لم يحاولها قبلُ نثرٌ ولا قصيد .
أنت على الخصوص ياذا « الروحُ » اليك أنحو !
يا من يؤثر على جلاميد المعابد طهر القلب والتقوى ،
فَأْتنى العلم إنك أنت العليم .
قد شهدتَ الوجود منذ فاتحة الوجود ،
وَجلستَ فى وداعة الورقاء ، باسطاً جناحيك العاتيين ،
تامّلُ « المهوى » الرحيب ، حتى أثقلته فكراً وشعراً .
فاجلُ ياذا الروح قاتمى ، وارفع وطىء دعائمى ،
عَلىّ بهذا المقال الجليل أبلغ شأواً ،
فأكون « للحكمة السرمدية » ترجماناً
ولرحمة الله بالانسان برهاناً .
ألا حدثينا - فليست تخفى الجنة عنك شيئاً ، كلا ، ولا مهوى
الجحيم السحيق - حدثينا
عن أبوينا الأوّليْن : ماذا دعاهما ، إذ هما يرفلان فى
ذاك النعيم ،
وإذ هما عند الله أقرب المقربين ، ماذا دعاهما
أن يهجرا « البارى » فيهويا ؟ وان يعصيا مشيئة الله
لمحظور واحد ، لولاه لسيطرا على العالمين ؟
من ذا أغواهما بدئاً بذاك العقوق الذميم ؟
إنه « الأرقم » الرجيم ثارت غيلته
حقداً ووتراً ، فمكر بأم البشر
حين ألقاه الغرور من الفردوس طريداً ،
وفى أعقابه عصبة الملائكة الثائرين .
فتطاول أن يفضُل فى السلطان سائر الاخدان
وطمع بعونهم أن يضارع « العلى العظيم »
أن عصاه ؛ ثم دعاه الأمل الطامع فى العرش والملكوت
أن يثير فى الجنة حرباً وقودها الغرور والفجور
فخاب الرجاء ؛ إذ طوح به الله ذو الجبروت
فهوى من علياء السماء يتقد لهباً ،
يروع القلب منه ما احترق وما انحطم ؛
وتردى فى هاوية ما لها من قرار ، بها يأوى
مغلولا بصم السلاسل يصطلى النار جزاء
بما حدثته النفس أن يناجز « القوى القدير »
وفى قرار مهواه تسع فضاوات
مما يذرع به الأناسى خطو الليل والنهار
تردى الأثيم هزيلا بصحبة شيعته
يتقلب فى حمأة الجحيم ، لعيناً خالداً فى لعنته ؛
ثم قضى نحسه أن ينال من غضب الله المزيد
فأخذت تضنيه لوعة النعيم المفقود ، وتشقيه لذعة العذاب
الموجود ، وطفق يجيل البصر الذى يقدح الشرر
والذى شهد ماشهد من أليم الكرب والكدر

وفى نظراته الغرور العنيد والمقت الشديد
فسرعان مارأى — ماوسع الملائكة النظر —
رأى ما حوله موحشاً قفراً يبابا
ورآه فى جب مخيف التهبت جوانبه التهاباً
كأنه أتون سحيق مستعر ، ناره لاتبعث النور ،
فإن هو إلا ظلام منظور ، كأنما أضىء ليضىء
مشاهد الغم ومطارح الهم وأشباح الأسى
حيث الدعة والسلام لايجدان مقراً
وحيث لايشرق الأمل الذى يشرق على العالمين أجمعين ،
فهو ماينفك يصلى عذاباً مقيما وطوفاناً من حميم
تغذو لظاه شواظ أبدا تذكو ولا تخبو
فذلك مستقر أولئك العصاة كما أراده عدل الإله
حيث أعدّ لهم سجن محلولك داج
مُقامهم فيه ينأى عن الله وعن نور السماء
ثلاثة أمثال ماينأى قلب الأرض عن قطبها الأقصى
فيا بعد مأواهم عن الذى كان منه مهواهم !
وهنا لك سرعان ماشهد الأثيم رفاق هُوِيه
يحتويهم الطوفان وتغمرهم الأعاصير ونار السعير ؛
ورأى إلى جواره يتلوى من يتلوه سلطاناً وعصياناً
ومن عرفته أرض القدس بعدئذ باسم « أبليس »
فاتجه إليه كبير أعداء الله :
من سُمّى فى السماء منذ ذلك الحين « شيطانا »
وألقى عبارة جريئة دوت فى ذلك السكون الرهيب ، فقال :
« أفأنت هو ؟ — إذن ياويلتاه ! لشد مازللت وما تبدلت ! —
ألا إن كنتَ مَنْ فى دار النور والنعيم
كان متشحاً بهالة من سنىّ الضياء
أخمدت بسناها الألوف من مشرق الوجوه —
لئن كنتَ من وشجنى به يوما
تبادل العهد ، واجتماع الرأى والكلمة ، واتحاد الأمل ،
وآصرتنا غمرات هذا المطلب الجليل ،
فهاهى ذى أواصر الشقاء توشج اليوم بيننا ، فتوحّد هلكنا .
أفرأيت إلى أى هاوية أوينا ، ومن أى الذرى هوينا ؟
ألا إن الله فى غضبته ، ساق الدليل على رجحان قوته ؛
فَمَنْ قبلئذ كان يدرى كم تبطش تانك الذراعان العَتِيّتان ؟
ولكنّى على ذاك لست بنادم ، وإن صبّ علينا الظافر القادر
ما استطاع فى سورته من صنوف العذاب
فعزمى المصمم لن يحول ، وإن حال منى رونق الإهاب ؛
ولن أبدل ما أثاره حقى الهضيم فى نفسى من أبى الكبرياء
التى سموت بها فنازلت « أقوى الأقوياء »
واستعديتُ معى فى النزال عرمرما
من « الأرواح » شاكى السلاح
الذين استبسلوا فكانوا على حكم الله مارقين ،
وآثرونى من دونه . ثم قارعوه جبروتا بجبروت
حتى زلزلوا قوائم عرشه
فى حرب كانت فى حومة السماء سجالا
وماذا أنْ فاتنا النصر فى حومة الوغى ؟
فإنا بذلك لم نفقد كل شىء —
وهل يكون هزيما ، من له هذا العزم الحديد
والثأر السديد والمقت الذى لا يزول ؟
ومن له هذا الجنان الذى لا يلين ولا يحول ؟
ذاك نصر لن يسلبنيه الله بسورته أو صولته
فما كان أخسها ضعة ،
لو أنى جثوت له مسترحما وركعت ضارعا ،
أو أنى خشعت لصولته ،
وهو الذى ارتاع لهذى الذراع منذ هنيهة
حتى ارتاب فى دولته !
أما وقد شاء القضاء لسطوة الآلهة ألا تدول ،
ولهذه الجحيم ألا تزول ،
وبعد أن عجمتنا خطوب هذا الحدث الجسيم ،
فازددنا به رشادا وما فُلّ لنا سلاح
وما يزال يحدونا زاهر الرجاء ،
فلنُثِرْها على عدونا الألدّ — بالقتل أو الختل — حرباً عوانا ،

إنه أصاب النصر فانتشى جذلا
أنْ رآه طليق الحكم ، فطفى فى السماء ،
هكذا قال « الملكُ » الكافر ، برغم ما يشقيه من العذاب
مختالا يصول ، وإن يكن خطيم النفس باليأس العميق ،
فلم يلبث رفيقه الجرىء أن أجاب : —
« مولاى ! وأنت زعيم العديد من العتاة متوجين
قدتَ إلى الوغى تحت لوائك « السيروفيم » مدججين
وتهددت رب السماء الدائم بالخطر
فأقمت الدليل على رفيع جلاله
سواء أكان بالحق أم بالحظ أم بالقدر .
ياويح نفسى أن ترى جليا هذا الخطب الرهيب
الذى طوَّحَنا فأشجانا وهزمنا فأردانا
وأضاع منا الجنة ، وهوينا به إلى هذا الحضيض
يهدنا ، ونحن المعشر القوى ، هلاك مبيد
ما بادت الأرباب وكائنات السماء :
فلا يزال الروح والعقل منا عن الهلك فى حرز حريز
وسرعان مانسترد العنفوان المفقود ، وأما المجد فان يعود
وسالف النعيم قد استأصلة الشقاء الموجود .
ولكن لم لا يكون الله وهو لنا « قاهر »
(فقد آمنت أنه على كل شىء قادر ،
إذ ما كان يستطيع أن يدك قوانا سوى مطلق قدرته)
لم لا يكون الله قد أبقى على نفوسنا وقوانا ،
فلم ينتقصها ليشتد أذانا ونضطلع بمر العذاب
لكى يُرضى فينا غيظه الناقم
أو ليامرنا بما شاء من فادح الأعمال ، فنستطيع الأداء ؟
فقد أمسينا له بحق النصر عبيدا أرقاء ،
إن شاء اصطلينا النار فى قلب الجحيم
وإن شاء سَخَّرنا فى اللج البهيم
فإن أحسسنا بالقوة موفورة ، فاين فى ذلك الغَنَاء ؟
وهل أجدى علينا خلود البقاء إلا دوام الشقاء ؟ »

زكى نجيب محمود

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

أحقاد

أفتقيمون للحق دليلا من اقتحام أحد الناس للهب فى سبيل تعاليمه ؟ وهل لمثل هذا التعليم ماللعقيدة التى تتولد متقدة من لهبها نفسه . إذا ما تلاقى رأس بارد بقلب مضطرم أنشات من التقائهما تلك العاصفة التى يدعوها الناس مخلصا . ولكم وجد على الأرض من رجل أعرق منشأ وأرفع مقاماً ممن يدعوهم الشعب مخلصين ، وما كان هؤلاء المخلصون إلا عاصفات كاسحات تهب متوالية على الأرض

إذا ما كنتم تنشدون سبل الحرية ، أيها الأخوة ، فعليكم أن تنقذوا أنفسكم حتى ممن يفوقون هؤلاء المخلصين عظمة ومجداً . فإن الانسان الكامل لم يظهر على الأرض بعد . لقد حدقت باعظم رجل وبأحقر رجل عن كثب وهما عاريان فظهرا لعيانى متشابهين ، بل رأيت أعظمها أشد توغلا فى المعائب البشرية من الآخرين .

هكذا تكلم زارا . . .

الفضلاء

لا ينبه الشعور الغافل إلا الأرعاد والأبراق ، وما تكلم الجمال إلا بنبرات هامسة لا تنفذ إلا إلى أشد الأرواح انتباهاً

أسمعتنى عصمتى اليوم ضحكة تعالت فيها قهقهة الجمال السامية . فجمالى يسخر بكم ، أيها الفضلاء ، إذ سمعته يقول : — إنهم يطلبون لفضائلهم ثمناً .

إنكم تتقاضون ثمن فضيلتكم وتطالبون بالجزاء ، أيها الفضلاء ، طامحين إلى امتلاك أما كن فى السماء ، بدلا من أما كن فى الأرض ، وإلى الظفر بالأبدية بدلا من الدهر الزائل .

إنكم لتحقدون على لأنى أعلم الناس أن ليس هنا لك